ابـو العتاهيـة : اشعـاره واخبـاره

طبعة محققـة على مخطوطتين
ونصوص لـم تنشر من قبـل ، عني
بتحقيقهـا الـدكتور شكـري فيصل
مطبعـة جامعة دمشق 1384 هـ/1965 م
(38 ص + 721 ص)

أبو العتاهية من أخصب الشعراء قريحة وأوفرهم انتاجا شهد له بذلك القدماء شهادة اجماع فقال ابن قتيبة : « كان أحد المطبوعين وممن يكاد يكون كلامه كلّه شعرا » «1» وقال ابن المعتزّ : « وأشعار أبـي العتاهية كثيرة جدّا إلاّ أنّها مشهورة موجودة » (2) .

ولـكن لم يصل إلينامن هذه الثروة الشعرية العظيمة إلاّ القليل . فلم يَبلغنا من غزله ومديحه وهجائه وعتابه إلاّ مقطوعات قليلة وأبيات متفرّقة أثبتتهـا كتب اللغة والأدب والتاريـخ . وإن وصل إلينا قسم وافر من زهدياته فلاعتناء الفقيـه المحدّث الأندلسي أبـي عمـر يـوسف بن عبد البـرّ النمري (368 — 463 هـ) (3) بجمعها « لما فيها من موعظة وتذكرة » (4)

(1) **الشعر والشعراء** (ط دار الثقافة ـ بيروت سنة 1964) ص 675

(2) **طبقات الشعراء** (ط دار المعارف) ص 234 ـ انظر أيضا : **الفهرست** لابن النديم (ط الاستقامة بالقاهرة) ص 233 **والاغاني** (ط دار الكتب) ج 4 ص 2 ـ **ومروج الذهب** (ط السعادة 1958) ج III ص 327

(3) انظر بركلمان **تاريخ الأدب العربي** الملحق I ص 628

(4) انظر مقدمة ابن عبد البر لزهديات ابي العتاهية ص 26

ويرجع فضل الأسبقية في نشر أشعار أبـي العتاهية إلى الأب ليوس شيخو اليسوعـي . فقد جمـع ما عثر عليـه منها في كتاب سمّاه الأنوار الزاهيـة في ديوان أبـي العتاهية (5) أثبت في القسم الأوّل منه الزهديـات نقلا عن ابن عبد البرّ النمـري (6) مع اضافة بعض الأبيات القليلـة الواردة في نفس الغرض روايـة عن كتب الأدب كالأغانـي أو العقد الفريد ، وضمّن القسـم الثانـي منه مقطوعات « من المديـح والعتـاب والأوصـاف والهجـاء والأمثـال والرثاء » (7) نقـلا عن « مشاهير الأدبـاء كالأصفهانـي والمبـرّد والمسعـودي والماورديّ والغزالي وغيرهم » حسب لفظ النـاشـر (8) .

وبـَقيت هذه النشرة على ما فيها من تحريف (9) وعلى ما ينقصها من دقّة في تعيين المصادر والإحالة عليها (10) مرجع الباحثين الوحيد «11» إلى أن أصدر أخيرا الدكتور شـكري فيصل كتابا ضخم الحجم وافر المادة جمـع فيه أشعار أبـي العتاهية وأخباره فسمّاه : أبو العتاهية : أشعاره وأخباره .

(5) ظهرت الطبعـة الأولى منـه في بيروت سنة 1886 ـ وأعيد طبعه بين سنة 1886 وسنة 1929 عـدة مـرات .

(6) ذكـر الأب شيخو في مقدمة **الأنـوار الزاهية** (الطبعة الرابعة سنة 1914 ص 3) أنـه اعتمد نسختين مخطوطتين ولم يعينهما تعيينا دقيقا ولكننا نجد في مقدمة الجزء العاشر من **الـروائع** (وهذا الجزء من تأليف الأب شيخو) ما نصه : « ومن [ديـوان أبي العتاهية صنعة النمري] عدة نسخ في القاهرة ودمشق والاستانة وفي مكتبتنا الشرقية وعنه اخذنـا طبعتنـا البيروتية ويظهر لنا وقد تأملنا حاشية التحقيق أن احدى النسختين المعتمدتين نسخة الظاهرية لانقطاع كل اشارة الى « نسخة ثانية » في هامش القصائد الواقعة بين روي النون والهاء وهو موضوع الانخرام في نسخة الظاهرية ، أما النسخة الثانية فالمرجح أنها نسخة المكتبة الشرقية .

(7) تعمد الناشر اهمال المقطوعات الغزلية لاعتباره الغزل منافيا لمكارم الاخلاق (انظر ص 3)

(8) انظر غـلاف **الانـوار الزاهية**

(9) يظهر أن بعض ذلك التحريف كان متعمدا (انظر شكري فيصل المقدمة ص 11 ـ 14)

(10) يقتصر الأب شيخو على ذكر اختلاف الرواية قائلا : وفي رواية ، وفي نسخـة وروي لـه ... وما شاكل ذلك من التعبير المبهم

(11) نشرت دار صـادر سنة 1964 ديـوان أبي العتاهية ولكن هذه النشرة من صنف النشرات التجارية التي لا يعول عليها .

ويحتـوي هذا الـكتاب على :

1) مقدمة للناشر تعرّض فيها إلى البواعث التـي حملته على نشر أشعـار أبـي العتاهية وقدّم فيها تقديما سريعا المخطوطتيْن المعتمدتيْن ثمّ نقد الأنوار الزاهيـة وختم مقدّمته موضّحا بعض المناهج التـي انتهجها في عمله .

2) مقدّمة ابن عبد البرّ لزهديات أبـي العتاهية .

3) الزهديات : وقد اعتمد الدكتور شـكري فيصل في تحقيقه لنصّهـا على مخطوطتين يظهر أنّه لا يعرف سواهما :

1) مخطوطة المـكتبة الظاهرية بدمشق وقد وصفها الناشر بأنها حديثـة الخطّ رديئة الشـكل في نحو 100 ورقة و10 ورقات تنخرم في آخرها في رويّ النون وتلتئم في رويّ الهـاء .

2) مخطوطة توبنجن (وهـي المخطوطة التـي كانت في برلين) وهـي أقدم النسختين نسخت عام 603 هـ وهـي تامّة وتمتاز أيضا بروايتها أرجوزة أبـي العتاهية رواية لا نظير لها في غيرها من المصادر سعة إحاطة والمام .

واعتمد الناشر الأنوار الزاهية أصلا ثالثا للتحقيق لا ثقة منه به ولـكن اعتبارا منه أنّ هذه النشرة « دخلت ميدان الدراسة الأدبية نظر فيها وأشيـر إليها وعلّق عليها وأحيل على صفحاتها » (12) .

ويحتـوي هذا القسم الأوّل من أشعـار أبـي العتـاهية عـلى 454 قصيدة ومقطوعة وعلى الارجوزة وعدد أبياتها في هذه النشرة 320 بيتا .

---

(12) مقدمة الناشر ص 10 ولكن المتأمل في حـاشية التحقيق يـلاحظ ان الدكتور شكري فيصل قد استفاد في تحقيقه من هذا الأصل الثالث . ولا غرابة في ذلك وقد بينا أن الأب شيخو قد اعتمد الى جانب نسخة الظاهرية نسخة لم يعتمدها الدكتور شكري فيصل . انظر على سبيل المثال هامش تحقيق البيت 5 من القصيدة 26 ص 32 والبيتين 6 و 7 من القصيدة 28 ص 33 والبيت 9 من القصيدة 52 ص 56 والابيـات 10 ـ 11 ـ 12 من القصيدة 59 ص 62 ـ 63 والبيت 9 من القصيدة 173 ص 178 والبيت 5 من القصيدة 201 ص 195 .... الخ

4) تكملة الديوان : وقد جمع الناشر في هذا القسم ما عثر عليه في كتب الأدب من أشعار تنسب إلى أبـي العتاهية ، فأورد له في هذه التكملة 301 مقطوعة في أغراض شتى (13) .

5) المستدرك : ذكر فيه المحقـق ما لم يهتـد إليـه من تخريجـات أو ملاحظات أو زيادات إلاّ بعد فراغه من عمله .

6) قـائمـة مصادر التحقيق .

هذه أقسام كتاب الدكتور شكري فيصل وصفناها وصفا سريعا وذكرنا ما جاء فيها وقد يتساءل القارىء : هذه أشعار أبـي العتاهية فأين أخباره ؟ عن هذا السؤال يجيب الناشر في مقدمته فيقول :

« إنـي صدرت في نشر هذا الديوان في الزهديات وفي الأغراض الأخرى عن وجهة جديدة قديمة كان يأخذ بها مؤلفونا القدامى وجامعو الشعر في العهود الأولى ثمّ انصرف عنها من جاء بعدهم أو كثير منهم حين صنعـوا بعض الدواوين : أردت بهذه الوجهة الربط بين أشعار الشاعر وأخباره [.....] وعلى ذلك ما يرى القارىء من عناية بذكر ما يتصل بالقطعة من خبر ضئيل أو جليل وقد تتبّعت هذه الأخبار في مصادرها وحرصت في مرات كثيرة على إيرادها في أكثر من رواية [.....] . أفعليّ إذا من حرج بعد هذا إن عدلت عن تسمية هذا الكتاب بديوان أبـي العتاهية إلى تسميته الأخرى : أبو العتاهية : أخبـاره وأشعـاره » (14) .

---

(13) لم يسلك الناشر في ترتيب هذه الأشعار مسلك الأب شيخو من جمعها حسب الاغراض التي تناولتها وانما رتبها على اساس من الروي تبعا لتسلسل حروف الألفبَاء ليغنيه ذلك عن صنع فهرس القوافي (انظر : المقدمة ص 16) .

(14) المقدمة ص 16 ـ 18 من هذه الأخبـار ما لم يسبق أن نشر ففي نشره فائـدة لا تنكر ولكن الكثير منها مأخوذ عن كتب مطبوعة طبعـات حسنة ومتداولة كثيرا . فما فـائدة نشرها من جديـد ؟ ثم ان النـاشر لم يجمع هـذه الاخبار في قسم خـاص ولم يرتبها وانما اوردها في هامش التحقيق فجاءت مبعثرة في الكتاب واختلط الطريف منها بالمعروف المشهور فلا يمكن للدارس أن يستفيد منها الا بعد بحث طويل خاصة والكتاب خال من الفهارس .

تلك خطّة الدكتور شكري فيصل في نشره لديوان أبـي العتاهيـة ونحن إذ نقدّر المجهود الذي بذله في جمع هذه الأشعار والأخباروتحقيـق نصوصهـا حقّ قدره لا يسعنـا إلاّ أن نستغرب بعض مناهجـه في ميدانـيْ البحث والنشـر وما اتصفت به من ارتجال وتعمّدته من اهمال .

فمن ذلك طريقته في البحث عن مخطوطات ديوان أبـي العتاهية فقـد حدّثنا عن ذلك في مقدمته فقال :

« وبدأت أسأل عن مخطوطات الديوان لتـكون سبيلي إلى نشرة أمثل وما كنت أعرف من هذه المخطوطات إلاّ تلك التـي في الظاهرية صنعَها ابن عبد البـرّ النمري فمضيت أنظر فيها [.....] وحين كنت في ألمانيا [.....] كان من بعض همّـي أن أطّلع على مخطوطات برلين... وكانت هذه المخطوطات قد نقلت سنـيّ الحرب إلى مناطق جبليّة بعيدة... فلمّا أظلّ الناسَ السلمُ لم تُعَد المخطوطات إلى برلين بحكم هذا النظام الثلاثـي فيها وإنّما عادوا ببعضها إلى مكتبة الجامعة في « توبنجن » وببعضها الآخر إلى « ماربورغ » . وفي « توبنجن » كان عظم إقامتـي في المانيا فأتاح لي ذلك أن أقضـي الأشهر الأربعة الأولى بين هذه المخطوطات ما كان منها مفهرسا في فهرس « آلـورد » وما لم يـكن ، وكان من سعادتـي أن عثرت على نسخة من ديوان أبـي العتاهية .

وعلى ذلك فقد توافر لي نسختان مخطوطتان من الديوان : الأولى هـذه التـي في دمشق ، والثانية من يدري من أين ولـكنها هذه التـي ساقتها أقـدار لتـكون في « توبجن » (15) .

فإنّ كلّ من سبق له أن درس أبا العتاهية لا يمكـنه إلاّ أن يستغرب هذا الحديث وأن يتساءل ما ضرّ المحقّق لو صرّح بأن آلوارد قد نصّ على وجود

(15) المقدمة ص 7 ـ 8

مخطوط ديوان أبـي العتاهية ضمن مخطوطات برلين (16) ؟ وأن يتساءل أيضا أكان الدكتـور شكري فيصـل يجهـل كـلّ الأبحـاث التـي تنـاولت مخطوطات ديوان أبـي العتاهية بالدراسة . فإن كان يجهل أن ريشر والزبيدى قد درسا الموضوع فهل كان يجهل أيضا أن بروكلمان قد تعرّض إلى ذلك (17)

ولو رجع الناشرُ إلى هذه المراجع ولو نظر في فهارس المخطوطات لعلم أنّ نسخ ديوان أبـي العتاهية (صنعة ابن عبد البرّ) كثيرة موجودة ولتمكـّن من جمعهـا ودراستهـا دراسة علميـة لتمييز الأصل منها عن الفرع وتحديـد كيفيّة تفرّعها ولخرج من طور التعجّب الساذج إلى طور البحث العلميّ المـركـّـز (18) .

وقد أثار استغرابنا أيضا أن يخلو كتاب جُمع فيه ذلك القدر العظيم من أشعار أبـي العتاهية وأخباره ، أشعار جاءت في أغراض عديدة وأخبار تناولت مشاكل مختلفة واعتمدت أسانيد متباينة من فهارس تعين الباحث وتجعل من الـكتاب مرجعا يسهل استعماله وتتيسّر الإستفادة منه .

وخلاصة القول أنّ قيمة هذه النشرة تتمثل في استنادها نسخة حسنة (مخطوط توبنجن) وفي كثرة ما جمعه الناشر من أشعار وأخبار ، ولـكن عدم اعتمادها على دراسة لتاريـخ ديوان أبـي العتاهية ومخطوطاته وخلوّها مـن الفهارس يقعدان بها عن بلوغ مستوى النشرات العلمية .

محمد عبد السلام

---

(16) الـوارد : فهرس المخطوطات العربية بمكتبة بـرلين الملكية ج 4 ص 558 ـ 559 : المخطوط عـدد 7543

(17) بروكلمان : **تاريخ الادب العربي** الملحق I ص 119 = الترجمة العربية (لعبد الحليم النجار) ج 2 ص 36 وقد اعتمد بروكلمان دراسة ريشر ,362 ر 28 W. Z. K. M.) أما الدكتور علي الزبيدي فقد أثار المشكلة في اطروحته عن أبي العتاهية . والاطروحة لم تنشر بعد .

(18) ومن الملاحظ في هذا الصدد ان الناشر لم يعرّف بجامع الـديوان ولم يتساءل عن المصـادر التي عنها أخذ ما اختاره من الزهديات ـ ولا تخفى أهمية هذا الموضوع على الباحثين .